الطبع والصنعة في النقد الأدبي القديم

يُعدّ مفهوم الطبع والصنعة من أهم المفاهيم النقدية التي شغلت النقاد العرب القدماء، إذ مثّل ثنائية جوهرية في تقييم الإبداع الأدبي، خصوصًا في الشعر. وقد كان النقاد يسعون من خلالها إلى التمييز بين الشاعر الذي يُنشد شعره بفطرته وسليقته، وبين من يتكلف ويجهد نفسه في صياغة المعاني والألفاظ.

أولًا: مفهوم الطبع والصنعة:

1- الطبع:

الطبع هو الفطرة السليمة، والموهبة الطبيعية التي يُولد بها الشاعر، ويُشير ذلك إلى السهولة والعفوية والانسياب في القول دون تكلّف أو عناء. يُعدّ الطبع سمة الشعراء الأصيلين الذين يأتون بالشعر كما يتنفسون.

من أقوال النقاد:

قال قدامة بن جعفر: "الطبع هو ما يجري على اللسان من غير فكرٍ ولا روية". وقال ابن طباطبا العلوي: "الشعر الجيد هو ما جاء عن طبعٍ صحيحٍ ومزاجٍ معتدل".

2- الصنعة:

الصنعة هي المهارة المكتسبة التي تأتي بالمران والتدريب. تعتمد على الثقافة الواسعة، وحسن الاختيار، ودقة السبك، وتجويد الأسلوب. الصنعة لا تُعدّ عيبًا في ذاتها، بل قد تكون ضرورة لإبراز جمال الطبع وصقل الموهبة.

من أقوال النقاد:

قال الجاحظ: "الشاعر الجيد هو الذي يجمع بين جودة الطبع وحسن الصنعة". وقال ابن رشيق القيرواني: "من اعتمد على الطبع دون الصنعة قلّت فائدته، ومن اعتمد على الصنعة دون الطبع قَبُح شعره".

ثانيًا: العلاقة بين الطبع والصنعة

رأى النقاد أن الطبع والصنعة متكاملان لا متضادان. فـ"الطبع" هو المادة الخام للإبداع، و"الصنعة" هي الأدوات التي تصوغ هذه المادة في شكلٍ فنيٍّ جميل.

أجود الشعر ما كان مطبوعا مصقولًا: فيه روح الفطرة مع دقة الصناعة.

مثال تطبيقي:

الشاعر زهير بن أبي سلمى كان يُعرف ببطء إنتاجه، إذ كان "ينقّح شعره عامًا بعد عام"، مما يدل على غلبة الصنعة على طبعه. بينما امرؤ القيس مثال على الطبع الفطري الذي يفيض شعره دون تكلف.

ثالثًا: أثر المفهوم في النقد العربي

أثّر هذا المفهوم في تطور الذائقة النقدية عند العرب، فأصبح النقاد يميزون بين الشعراء حسب ما يغلب على أشعارهم من طبع أو صنعة. كما ساهم في تشكيل معايير الصدق الفني وجودة الأسلوب.

في العصور اللاحقة (العباسي والأندلسي)، اتسع المفهوم ليشمل النثر والخطابة أيضًا.

رابعًا: موازنة الطبع والصنعة في ضوء نظرية الإبداع:

يُمكن النظر إلى الطبع بوصفه عنصر الإلهام، وإلى الصنعة بوصفها عنصر الوعي الفني.

في النقد الحديث، يعادل الطبع مفهوم الخيال الفطري أو الإلهام الشعري، والصنعة تماثل التقنية الأدبية أو الحرفة الفنية. وكلاهما ضروري لتحقيق العمل الأدبي الكامل.

خاتمة:

إن ثنائية الطبع والصنعة تمثل رؤية العرب القديمة لفهم عملية الإبداع الأدبي بوصفها توازناً بين الفطرة والتكلف، بين الموهبة والدربة.

وأحسن الشعراء هم أولئك الذين جمعوا بين الاثنين، فكان شعرهم عذبًا سلسًا متقن البناء، يجمع بين روح الإبداع وعقل الفن.

<u>مراجع مقترحة:</u>

- قدامة بن جعفر: نقد الشعر
- ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر
- الجاحظ: البيان والتبيين
- ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده
- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء